المجلد: 17 العدد: 02/ مارس 2022
ص: 573 - 589
ISSN: 1112-7015
EISSN: 2602-5973

قراءة في مخطوطة الأخضري - شرح الجوهر المكنون-

A Reading in El-Akhdari's Maniscript "Interpretation of EJawhar El Maknoun"

د. بقدار الطاهر*[1]
جامعة مصطفي اسطمبولي معسكر (الجزائر)
tahar.bakaddar@univ-mascara.dz

تاريخ الإرسال: 2021/05/30 تاريخ القبول:2021/08/05 تاريخ النشر: 2022/03/28

ملخص: لعبد الرحمن الأخضري مؤلفات عديدة ومتنوعة تعكس قدرته العلمية وتفوقه المعرفي في عصره، ومؤلفاته تجاوزت العشرين مؤلفا في مختلف الفنون العلمية، في اللغة والفقه والحساب والفلك والمنطق وعلم الفرائض والتصوف، سواء تلك المؤلفات التي استطعت احصاءها والاطلاع عليها ما بين مطبوع ومخطوط في المكتبات والزوايا والخزانات الخاصة ، أو تلك التي ذكرها أصحاب كتب الفهارس أو كتب التراجم.

ومن بين هذه المصنفات العلمية التي اطلعت عليها " الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون" نظما وشرحا، وهو من أجل المصنفات البلاغية، وأحد المصادر المهمة في التراث البلاغي العربي عامة، والجزائري خاصة خلال القرن العاشر الهجري، فهو تأليف من الضروري معرفته والإشارة إليه والتنويه بمكانته المعرفية.

لكلمات المفتاحية : البلاغة ، المخطوطة، التحقيق ، الزوايا ، النظم .الأسلوب ، المصادر

Abstract : Abd-Rahmane El-Akhdari left various books which reflect his scientific Excellency. His heritage exceeds twenty books handling different scientific arts such as language, exegesis, mathematics, astronomy, logic, and Sufism. These are the main fields he tackled with regard to what I could gather either from his manuscripts in libraries, Zawayas and private hiding places or from books of bibliographies that mentioned him.

Among these scientific books, I tackle "The Hidden Pearl in the Three Arts" poetry and its explanation. It is one of the precious rhetoric references, and one of the most important sources in the Arabic rhetoric heritage, generally, and Algerian in particular in the 10th Hegira century. It is primordial to handle and highlight the scientific importance of this book.

Keywords: (Keywords: rhetoric, manuscript, analysis, Zawaya, poetry, style, sources.

1 المقدمة :

ترك عبد الرحمن الأخضري مؤلفات كثيرة مخطوطة ومتنوعة بعضعها تحقق وبعضها لم يتحقق جميعها يعكس ثقافته ومعرفته، ومن أهم هذه المؤلفات " الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون"، وضعه في البداية متنا على بحر الرجز ثم اعتنى بشرحه ، شرحا مستفيضا مستوفيا علوم البلاغة العربية، فعنوان النظم ثبت باسم الجوهر المكنون، وهي عادة الأخضري في تسمية منظوماته، وقد ورد ذلك في تمهيد المنظومة نفسها حيث في مقدمة النظم:

سميته بالجوهر المكنون ** في صدف الثلاثة فنون

* المؤلف المرسل : بقدار الطاهر

وقد ثبت في المصادر اسم هذه المنظومة، إما باسم "الجوهر المكنون"، أو "الجوهر المكنون في الثلاثة فنون"، أو "الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون"، أو "الجوهر المكنون في المعاني والبيان والبديع"، وكل المصادر التي اطلعت عليها أثبتت أن هذا النظم من وضع الأخضري، وهو من بحر الرجز يقع في واحد وتسعين ومائتي (291) بيت، على ما جاء في آخر المتن في احدى نسخ المخطوط التي اطلعت عليه[1]

أبياتها تســـع ثم مائتين ** وزد لها واحدة من دون مين

فرغ من النظم سنة 950هـ وهو ابن ثلاثين سنة، وأرخ لذلك الأخضري في ختام نظمه قوله : تم

بشهر الحجة الميمون ** متم نصف العاشر القرون

ومطلع النظم : الحمد لله البديـع الهادي** إلى بيان مهيع الرشاد

وتضمنت هذه المنظومة تمهيد[2] بدأه بحمد الله والثناء عليه، ثم الصلاة والسلام على نبيه وآله وصحابته الكرام، وفي التمهيد نفسه أوضح أهمية البلاغة بقوله :

هذا وإن درر البـيـان ** وغرر البـديع والمعـاني

تهدي إلى موارد شريفـه ** ونبذٍ بديعـــة لطيفـه

من علم أسرار اللسان العربي ** و درك ما خص به من عجب

لأنه كالروح للإعـراب ** وهْو لعلم النحو كاللباب

ثم بيّن بعد ذلك أسباب وضعه لهذا النظم بقوله :

و قد دعا بعضٌ من الطلاب ** لرجز يهدي إلى الصواب

فجئته برجـــز مفيد ** مهذب منقح سـديد

وفي ختام هذا النظم يقول:

ومن سمات الحسن في الختام ** إردافه بمشعر التـمام

هذا تمام الجملة المقصودة ** من صفة البلاغة المحمودة

ثم صلاة الله طول الأمد ** على النبي المصطـفى محمد

وآله وصحبه الأخيـار ** ما غرد المشتاق بالأسحار

وخر ساجدا إلى الأذقان ** يبغي وسيـلة إلى الرحمن

تم بشهر الحجة الميمون ** متم نصف عاشر القرون

وهذا النظم مطبوع متنا ضمن مجموع مهمات المتون[3] في عشرين صفحة من صفحة717 إلى صفحة 736، وله أربع نسخ مخطوطة بالمكتبة الوطنية الأولى تحمل رقم 214، والثانية تحمل رقم 215، والثالثة تحمل رقم 216، والرابعة تحمل رقم 961، وله نسخة بمكتبة إسطنبول بتركيا تحمل رقم 3693، ونسخة بدار الكتب الوطنية بتونس تحمل رقم 3145، ونسخة بالمكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة تحمل رقم 5674، وقد أشار سركيس في معجمه[4] أنه طبع بمطبعة المعارف بالقاهرة 1290هـ، والمطبعة الخيرية 1306هـ ومطبعة أبي الذهب 1324هـ.

1- : شرح الجوهر المكنون ونسبته إلى مؤلفه [5]

وأما الشرح لم يذكر المؤلف عنوانا مثبتا لشرحه باسم معين، وليس هناك اختلاف بين النسخ المخطوطة التي اطلعت عليها في نسبة هذا الشرح لصاحبه، ففي أول شرح تحصلت عليه نسخة مصورة عن نسخة مخطوطة من خزانة الشيخ محمودي البشير[6] عبارة "فهذا شرح الشيخ العلامة سيدي عبد الرحمن الأخضري على منظومته الجوهر المكنون في علم المعاني والبيان والبديع"، وأما في نسختي المكتبة الوطنية [7]، فنجد في آخر ها عبارة "كمل شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون لناظمه ولي الله تعالى سيدي عبد الرحمن بن الشيخ سيدي الصغير الأخضري".

ومن المصادر التي أشار أصحابها إلى هذا الشرح الورثيلاني بقوله:" وله الجوهر المكنون في البيان يلخّص فيه التلخيص، وقد أقبل عبيه الناس في مغربنا"[8]، وعنه قال الزركلي في الأعلام :"الجوهر المكنون، نظم في البيان أوجز فيه التلخيص وشرحه"[9]، وفي دائرة المعارف الإسلامية: "الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون في البلاغة وعليها شرح للناظم"[10]، وعبد الرحمن الجيلالي في معرض حديثه عن مؤلفاته يقول :"الجوهر المكنون في علوم البلاغة وعليه شرح مخطوط يوجد بالمكتبة الوطنية"[11] ،وأشار إلى هذا الشرح أيضا جرجي زيدان[12].

ويشير أبو القاسم سعد الله إلى هذا الشرح[13]، ويقول بشأنه أنه شرح كبير فاق فيه الأخضري تلخيص المفتاح لجلال الدين القزويني[14]، غير أن هذا الشرح كما يذكر سعد الله لم يخرج من مبيضته ولم يتم صقله من طرف مؤلفه، وأن الذي استكمل نقصه هو عبد الكريم الفكون وأحمد بن المبارك العطار[15]، الذي سمى عمله "نزهة العيون على شرح الجوهر المكنون"[16]، وهذه قرينة أخرى من بين القرائن التي اعتمدها سعد الله في إثبات وفاة عبد الرحمن الأخضري مبكرا[17].

وإن الشرح المسمى "حلية اللب المصون على الجوهر المكنون " فهو لأحمد عبد المنعم الدمنهوري[18] ، وهذا ما أجمعت عليه جميع المصادر التي ذكرت هذا الشرح، غير أن حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون ينسب هذا العنوان للأخضري، وقد انفرد دون بقية المصادر بهذه النسبة في أكثر من موضع من كتابه،[19] وشرح الدمنهوري مطبوع بالقاهرة ثلاث مرات طبعة حجرية سنة 1290هـ وسنة 1308هـ، وسنة 1310 هـ، وطبع مرة مع حاشية مخلوف المنياوي سنة 1305هـ[20] كما طبع مرة على هامش شرح عقود الجمان للسيوطي (ت 911هـ) بمطبعة دار إحياء الكتب العربية.

ومن خلال اطلاعي على شرح الدمنهوري بدا لي واضحا أن الدمنهوري اطلع على شرح الأخضري، ، ففي كثير من المواضيع يحيل الدمنهوري على هذا الشرح، ففي حديثه مثلا عن مواضع الفصل، وتعرضه للجامع أي الوصف الذي يقرب بين الشيئين ويقتضي الجمع بينهما يقول: "...يُرْجَعُ إليه في شرح الأصل لضيق هذا الشرح عن ذلك".[21] وفي تعرضه لأمثلة رد العجز على الصدر يكتفي بذكر مثال واحد ويشير إلى بقيتها بقوله:" وصور ذلك في الأصل"[22]. وهذا دليل آخر في نسبة هذا الشرح للمؤلف.

كما يحيل الشيخ مخلوف المنياوي في حاشيته على شرح الدمنهوري إلى شرح الأخضري، وهذا بنقله لبعض المصطلحات منه، مشيرا إلى هذا الشرح ومنوها به كمصدر لجأ إليه. وكثيرا ما يستدرك بعض الأمثلة من شرح الأخضري ويوردها بلفظها ومعناها.

ولمحمد بن علي بن موسى الثغري[23] شرح أسماه "موضح السر المكمون على شرح الجوهر المكنون"،[24] ويبدو فيه صاحبه أنه اطلع على شرح الأخضري، يقول في مقدمة شرحه :"فلما رأيت منظومة الشيخ سيدي عبد الرحمن الأخضري الموسومة بالجوهر المكنون من أجّل ما صنف في علم البيان، محتوية على جل قواعد التلخيص وعيون مسائله بلفظ موجز ولهيب وإتقان وقد شرحها ناظمها شرحا مفيدا، وأعرب عمّا في ضميره وأبان، لكن بقي في بعض الأماكن بياض في الشرح وذلك في جميع النسخ الواصلة إلينا، فأردت بعون الله تقييد دررها بشرح يكشف الغطاء عن جواهرها المصونة"[25].

وفي هذا الشرح إحالات كثرة على شرح الناظم، فينقل عنه نقولا في مواضع كثيرة بقوله :" قال المصنف في شرحه" وينهي ذلك بقوله:" انتهى قوله"، ويقول الثغري في أقسام وجه الشبه :"إن الأخضري سكت عن المتعدد الحسي"، وفي حديثه عن الدلالة الوضعية يقول "الأصح بتثليث الدال، وحكى المصنف في شرحه لغتان فتح الدال وكسرها والمنقول يخالفه"، وقد وضع الثغري في باب الفصل والوصل جدولا لأمثلة الفصل والوصل وقال: "ووضع المصنف رحمه الله في شرحه جدولا مشتملا على الصور، ورأيت أن جلبه هنا مما تتم به الفائدة ". وكل ذلك يثبت أن هذا الشرح هو لمؤلفه عبد الرحمن الأخضري.

2- مكانة شرح الأخضري وأهميته

إذا كان النظر في الموروث البلاغي يعدّ صورة من صور الاهتمام بالعربية وفروعها، فإن التفكير في هذا الموروث والسعي في دراسته بمنهج علمي هو سبيل البحث عن الصلة بين المدرستين البلاغيتين الأدبية والفلسفية، وما تهدف إليه كل مدرسة، و لعل المهتم بدراسة تاريخ البلاغة العربية، والمتتبع لمراحل نشأتها وتطورها، يتوصل إلى وجود هاتين المدرستين البلاغيتين، المدرسة الأدبية الفنية والمدرسة الكلامية الفلسفية، ولكل مدرسته خصائصها التي تميزها عن غيرها[26] .فالمدرسة الفلسفية التي أقحمت المصطلحات المنطقية وأراء علماء الكلام، بوضعها للمتون وما وضع عليها من شروح وحواشٍ وتقارير وتلخيصات، جعلها في نظر البعض صورا من مباحث علم الكلام والفلسفة والمنطق، وإن كان كل ما كانت تهدف إليه هذه المدرسة خدمة العلم والمباحث المعرفية. فالدرس البلاغي خلال القرن الخامس حتى أوائل

القرن السادس الهجري عرف ذلك المنحى الفني الأدبي باستعمال علماء البلاغة هذه الفترة بالمقاييس الفنية واحترامها، وتطبيق هذه المقاييس على النصوص الأدبية وارجاعها إلى الذوق الأدبي والإحساس الفني، وأشار إلى هذه الفترة كثير من الدارسين وفصلوا في جوانب كثيرة منها، معتبرين إياها مرحلة من مراحل نضج البلاغة العربية، وفترة من فترات ازدهارها، وأنها تمهيد لاستلهام الكثير من المهتمين بعلوم البلاغة في المراحل التي جاءت بعدها[27]. وانتهت هذه الفترة بعبد القاهر الجرجاني والزمخشري لتبدأ مرحلة جديدة من الدرس البلاغي، عمل علماؤها مع بداية القرن السابع الهجري حتى أواخر القرن العاشر على اتخاذ منحى بلاغي جديد، وذلك بمحاولات كثيرة بدأت بتلخيص بلاغة الجرجاني وبعض آراء الزمخشري، وعلى هذا النهج تشكلت المدرسة الكلامية، وتبلورت في شكلها النهائي على يد أبي يعقوب السكاكي (ت626هـ) في القسم الثالث من كتابه "مفتاح العلوم"، ثم استمرت هذه المدرسة الكلامية في تناولها للموضوعات البلاغية على هذا النهج معتمدة على التعريفات والتقسيم المنطقي واستعمال للطرق الفلسفية. لتصل إلى جلال الدين القزويني (ت739هـ) في كتابه "تلخيص المفتاح" وكتابه "الإيضاح في علوم البلاغة وغيرها من التآليف، غير أن كتاب تلخيص المفتاح شد اهتمام علماء البلاغة بنظمه وشرحه ووضع الحواشي على شروحه والتعليق عليها، فقد شرحه بهاء الدين السبكي (ت 773هـ)[28] وسعد الدين التفتازاني (ت791هـ)،[29] وأبو يعقوب المغربي (ت1110هـ)،[30] وغيرهم، كما نظمه السيوطي (ت911 هـ) في منظومة أسماها" عقود الجمان". وقام بشرحها .

أما في التراث البلاغي الجزائري فقد قام بشرحه والتعليق عليه العديد من الأعلام ستأتي الإشارة إليهم فيمن سبق الأخضري في هذا الشأن وفي من أتى بعده، فعلى هذا نجد أن المدرسة السكاكية أثرت فيما بعدها بشكل كبير،[31] وأثرها امتد إلى القرن العاشر الهجري، والأخضري تأثر بهذه المدرسة ومن خلالها احترم جهود السابقين، وأسهم بنظمه الجوهر المكنون وشرحه في محاولة وضع قواعد بلاغية امتدادا لمن سبقه، في استعمال الطريقة الفلسفية المنطقية في تعديد الموضوعات وتقسيمها وحصرها والاستعانة بالمصطلحات المنطقية ومناقشتها، وما تضمنه شرحه من استطراد وجدل وكلام.

فشرح الجوهر المكنون تضمن دراسة شاملة للبلاغة، وبحث في فنونها وأبوابها، واعتمد على منهج الفصل بين فنون البلاغة الثلاث (المعاني، البيان و البديع)، وهذا الفصل جعل الكثيرين يقفون موقفا نقديا من الفصل بين علوم البلاغة وعدم الالتحام بينها[32].

وبذلك تجلّت أهمية هذا الشرح ليس في المجال البلاغي فحسب، بل في جميع ما تنبني عليه البلاغة. فهذا الشرح لا يخلو من فوائد صرفية ونحوية ولغوية ومنطقية، ولا يقف عند حد الشرح بل يتعدى الى التفصيل فيها، واحترام مضامينها، مع كثرة الاستشهاد وذكر محل الشاهد. كما يفيدنا هذا الشرح في الأحكام النقدية لكثير من آراء العلماء. في سردها وتمحيصها ومناقشتها وتوضيح موضع الصحة والخطأ منها، والرجوع إلى أقوالهم التي تعمل على ترجيح مسألة دون أخرى، كما لا يقف هذا الشرح عند المستوى اللفظي والتعبير السطحي، بل يتعدى إلى الأساليب الأدبية الرفيعة في الربط بين الأحكام، وانتقال من مجال لآخر.

3- التأليف البلاغي في الجزائر قبيل الأخضري وبعده

واستنادا على ذلك فشرح الأخضري له أهمية كبرى في موضوعه، إذ أن البلاغة علم جليل وفن غزير شريف، فهو يغرس بشرحه هذا في المتعلم الدقة والشمول، وتقريب المسائل والتفصيل فيها، وكل هذه الجهود التي برزت مع بداية القرن السابع حتى غاية القرن العاشر، شقت بالبلاغة العربية نحو التطور والنمو لتصبح علما له قواعده وضوابطه وقوانينه وأحكامه، ومن خلال هذه الجهود التي يعد فيها الأخضري حلقة بارزة ارتسم تاريخ البلاغة في اسهام علمائها، وهذا رغم اختلاف الاتجاه وتعدد المشرب، غير أن هذه الاتجاهات لم تكن متضاربة بقدر ما كانت متضافرة، فرغم تعدد قنواتها لكنها كانت تصب في مجرى واحد.

وعرفت الجزائر خلال العهد العثماني الكثير من العلماء الذين ألفوا في علوم البلاغة، وبخاصة مع بداية القرن التاسع الهجري، حتى منتصف القرن الثالث عشر.

ومن بين الذين سبقوا الأخضري في هذا المجال أبو العباس أحمد بن حسن بن قنفذ القسنطيني (ت809هـ) في تأليفه" التمحيص في شرح التلخيص"، ومحمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد(ت842هـ) في نظمه " أرجوزة في تلخيص المفتاح"، وأحمد بن محمد بن زاغو التلمساني المغراوي(ت845هـ) في" شرح التلخيص"، وأبو إسحاق إبراهيم بن فائد بن موسى الزواوي (ت857هـ) في كتابه " تلخيص التلخيص"، وأحمد بن عبد الرحمن أبو العباس الخلوف(ت899هـ) في " نظم التلخيص" ونظم أسماه" مواهب البديع" وهي ميمية في علم البديع، ومحمد بن عبد الكريم المغيلي (ت909هـ) في كتابه" مختصر تلخيص المفتاح".

ومن العلماء الجزائريين الذين أثروا البلاغة العربية بعد عبد الرحمن الأخضري إلى غاية منتصف القرن الثالث عشر، والذين كان لهم النصيب الوافر والمقدرة الكبيرة في الاهتمام بعلوم البيان نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، محمد بن أحمد أبوراس الراشدي المعسكري (ت1238هـ) بوضعه لحاشية على مختصر السعد، وأحمد بن المبارك العطار القسنطيني (ت بعد 1265هـ) بوضعه لحاشية على شرح الجوهر المكنون للأخضري، وأبو عبد الله محمد بن علي الونيسي(ت1260هـ) بوضعه لحاشية على مختصر السعد، والحاج أحمد بن بشير الداودي التلمساني (ت1271هـ) بوضعه لحاشية أيضا على السعد. ومعظم هذه المؤلفات في علوم البلاغة ماتزال مخطوطة في أكثر المكتبات والخزانات الخاصة.[33] ويشير الشيخ بشير ضيف إلى أن ما طبع منها عشر مخطوطات من ضمن سبع وسبعين مخطوطا.[34]

4- موضوعات الشرح المخطوط ومباحثه

ذكر الأخضري في مقدمة نظمه "الجوهر المكنون" أنه ألفه بناء على رغبة بعض طلابه واستجابة لحاجتهم لمثل هذا العلم، وأيضا لأهميته ودوره في فهم كل أنواع الخطاب البياني، فيقول في مقدمة نظمه:

وقد دعا بعض من الطلّاب ** لرجز يهدي إلى الصواب

فجئته برجـــز مفيد ** مهذّب منقّــح سديد

ثم أن الأخضري بعد أن وضع قواعد هذا العلم في نظمه، شرع في شرحه وفق الترتيب الذي اعتمده فيه، وذلك تلبية لطلابه في توسيع مداركهم وتقريب المتن لهم. والناظر لنظم الجوهر المكنون يلمس الحاجة الماسة لشرحه وتبيان مقاصده، لأن شأنه في تأليفه شأن المتون الأخرى مختصر العبارة دقيق المعنى، لا يستطيع أن يسبر غوره إلا المتمكن من العربية وقواعدها، والمتفقه لعلوم البلاغة ومسائلها وموضوعاتها. وبعد أن أنهى المؤلف نظمه "الجوهر المكنون" سنة 950 هـ بدأ في شرحه مفصلا لينتهي منه سنة 952 هـ، فبعد فراغه من علمي المعاني والبيان يقول" وكان الفراغ من هذا الفن عشية الجمعة المباركة آخر يوم من ربيع الثاني عام 952"[35] وفي فراغه من علم البديع يقول " وقد انتهيت الى هذا المحل عشية الجمعة يوم أربعة عشر من جمادى الأولى عام 952"[36]

وهذا كله دليل على عناية الأخضري بشرح هذا النظم فور وضعه مباشرة، والمتأمل لهذا الشرح يدرك الطريقة التي اعتمدها الأخضري في تبويبه لشرحه وفق ما رتب به نظمه، وتماشيا مع طريقة الخطيب القزويني في كتابيه التلخيص والإيضاح إلا في بعض الموضوعات كما كنا قد أشرنا، ومن ثم قسّم المؤلف شرحه إلى تمهيد ومقدمة وثلاثة فنون المعاني والبيان والبديع، وقسّم كل فن إلى أبواب وفصول، وأنهى شرحه بالسرقات وتوابعها وجملة من المحسنات اللفظية والمعنوية مشتملة تحت باب تذنيب بألقاب من الفن، لينتهي إلى فصل منفرد فيما لا يعد كذبا ثم الخاتمة.

فبعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وضع **تمهيدا** لشرحه وضعه لشرح مطلع النظم، والمتضمن لمعنى الحمد ومفهومه، هذا التمهيد الذي تعرض فيه لأسباب وضعه واسمه وأهميته، وقد اكتفى في الشرح المخطوط بالمطلع فقط، وهذا التمهيد المتواجد في النظم الذي ركز فيه على معنى الحمد والشكر، مع ذكر آراء العلماء في ذلك، متناولا هذا من باب التوحيد مع تعرضه لاسم الجلالة "الله" في بيان حقيقته وأسباب وضعه وأحكام القراءات فيه مع التفصيل في ذلك كله، في حين لم بتعرض لشرح بقية النظم في التمهيد الذي أشار فيه إلى أهمية البيان بعد الصلاة والسلام على خير الأنام وعلى صحابته رضوان الله عليهم ذاكرا سبب وضعه لهذا النظم مشيرا إلى طريقته ومنهجه في وضعه .

ثم وضع لشرحه **مقدمة** وقد اشتملت هذه المقدمة على معنى الفصاحة والبلاغة، مع ذكر أبواب البلاغة مجملة في فنونها الثلاث والغاية من كل فن. ثم قسّم شرحه إلى فنون ثلاثة.

الفن الأول **علم المعاني**، ذكر فيه أسباب تقديمه ومفهومه والغاية منه، وقد احتوى على ثمانية أبواب وفصلين، فصل تابع للباب الأول" الإسناد الخبري"، وفصل تابع للباب الثاني " المسند إليه"، فالباب الأول الإسناد الخبري: جاء فيه أسباب تقديمه وأحواله وأغراض الخبر وأضربه والخروج عن مقتضى الظاهر ومؤكدات الخبر، وتبعه بفصل سماه الإسناد العقلي: وفيه ذكر الحقيقة العقلية وأقسامها مع ذكر قرينة المجاز العقلي. أما الباب الثاني هو المسند إليه: وذكر فيه أحوال المسند إليه ومقتضيات حذفه وذكره وتعريفه وتنكيره ووصفه وتأكيده وبيانه والإبدال منه والعطف عليه وتقديمه. وأتبعه بفصل سمّاه " في الخروج عن مقتضى الظاهر" : وفيه ذكر وضع المضمر مكان الظاهر ووضع الظاهر مكان المضمر

وأسلوب الحكيم والالتفات والتعبير عن المستقبل بلفظ الماضي والقلب. أما الباب الثالث " المسند" وذكر فيه أسباب تناوله بعد المسند إليه، ثم بين مقتضيات حذفه وذكره وإفراده ووقوعه فعلا ووقعه اسما وتقييده وعدم تقييده بالمفعولات، وتخصيصه بالصفة أو بالإضافة، وتقييده بالشرط وتنكيره وتعريفه ووقوعه جملة وتأخيره وتقديمه. وبعده الباب الرابع متعلقات الفعل ذكر فيه مقتضيات حذف المفعول وتقديمه على الفعل، وتقديم بعض معمولات الفعل على بعض. ليليه الباب الخامس القصر تناول فيه تعريف القصر وأقسامه، وأقسام القصر الإضافي وطرق القصر. وبعده الباب السادس الإنشاء وجاء فيه تعريف الإنشاء، وأنواع الإنشاء الطلبي وأغراضه، وخروج أدوات الاستفهام عن معناها الأصلي، والمعاني المستفادة من الأمر والنهي والنداء، ووقوع الخبر موقع الإنشاء. والباب السابع الفصل والوصل ذكر فيه معنى الفصل والوصل، وبين مواضع الفصل ومواضع الوصل ومحسنات الوصل. وأخيرا الباب الثامن الإيجاز والإطناب والمساواة، وجاء فيه تعريف كل من الإيجاز والإطناب والمساواة مع بيان أقسام الإيجاز وأسباب الإطناب.

أما الفن الثاني هو **علم البيان** وفيه ذكر سبب تقديم هذا الفن عن علم البديع، ثم شرع في تعريفه وأقسامه مقسما إياه إلى ثلاثة أبواب وثمانية فصول. فصل في مقدمة الفن، وفصل تابع للباب الأول" التشبيه"، وخمسة فصول ضمن الباب الثاني" الحقيقة والمجاز"، وفصل تابع للباب الثالث " الكناية" ، بدأه بفصل في الدلالة الوضعية بدأ بتعريفها وأهمية تناولها في مقدمة علم البيان، ثم شرع في ذكر أقسامها وأقسام الدلالة الوضعية. ثم وضع الباب الأول "التشبيّة" وجاء فيه معنى التشبيه وأركانه وطرفاه، ووجه الشبه وأقسامه، وأدوات التشبيه والغرض من التشبيه، وأقسام التشبيه باعتبار طرفيه وباعتبار الوجه، وباعتبار أداة التشبيه، وباعتبار الغرض. ثم جاء في سياق الباب الأول فصل في أعلى مراتب التشبيه وجاء الباب الثاني في الحقيقة والمجاز: وتعرض فيه إلى تعريف كل من الحقيقة والمجاز وأقسامهما، متعرضا لمفهوم المجاز مع ذكر المجاز المرسل وأنواعه. ليعقد بعده فصل في الاستعارة: تناول فيه تعريف الاستعارة وقرينتها وأقسامها باعتبار طرفيها، وباعتبار الجامع، وباعتبار الجامع والطرفين معا، وباعتبار اللفظ إلى أصلية وتبعية، وباعتبار الخارج إلى مطلقة ومجردة ومرشحة. وفصل في الاستعارة التحقيقية: تناول فيه تعريفها ثم قسمها إلى مكنية وتخييلية. وفصل في حسن الاستعارة: بين فيه شروط حسن الاستعارة في بعدها عن التشبيه. وفصل في المجاز المركب: ذكر المجاز المركب بقسميه، المجاز الإسنادي والاستعارة التمثيلية.وفصل في المجاز بالحذف والزيادة: والمقصود يه ما تغير إعرابه، ليأتي الباب الثالث "الكناية" ذكر فيه تعريف الكناية وأقسامها وأغراضها. وتحت هذا الباب يعقد فصلا في مراتب المجاز والكنى: بيّن فيه التفاضل بين المجاز والكناية، وأنهما أبلغ من الحقيقة والتصريح.

أما الفن الثالث **علم البديع** ، شرع أولا في تعريف علم البديع معتبرا إياه تابعا للبلاغة لا جزءا منها، ثم قسمه إلى قسمين الضرب المعنوي الضرب اللفظي. فالضرب المعنوي ذكر سبب تقديمه على اللفظي، ثم شرع في بيان أنواعه، وهي المطابقة وتشابه الأطراف والموافقة والعكس والتسهيم والمشاكلة والمزاوجة والمقابلة والرجوع والتورية والجمع والتفريق والتقسيم والجمع مع التفريق والجمع مع التقسيم والجمع مع التفريق والتقسيم واللف والنشر والاستخدام والتجريد والمبالغة والتفريع وحسن التعليل والمذهب الكلامي وتأكيد المدح بما يشبه الذم وتأكيد الذم بما يشبه المدح والإدماج والاستتباع والتوجيه والهزل الذي يراد به الجد وتجاهل العارف والقول بالموجب والاطراد. ثم انتقل إلى الضرب اللفظي وذكر أنواعه

وهي الجناس، مبينا أقسام الجناس التام من متماثل ومستوف ومركب، ذاكرا أنواع الجناس كالجناس المحرف والجناس الناقص وجناس القلب والجناس المزدوج والملحق بالجناس وجناس الإشارة ورد العجز على الصدر، ثم فصل في السجع في تعريفه وأنواعه ومحاسنه، والتشطير، ثم فصل في الموازنة ثم ذكر القلب والتوشيح والالتزام.

ثم اشتمل الشرح على بعض المسائل الأخرى وهي **السرقات وتوابعها** تعرض فيه لتعريف السرقة وتقسيمها إلى ظاهرة وخفية، ثم ذكر توابعها كالاقتباس والتضمين والحل والعقد والتلميح، ثم وضع عنوانا باسم **تذنيب بألقاب من الفن** ، ذكر فيه بقية المحسنات التي يرجع بعضها إلى المعنى وبعضها إلى اللفظ، ورتبها على الشكل التالي: التوشيع والترديد والترتيب والاختراع والتعديد والتطريز والتدبيج والاستشهاد والايضاح والائتلاف والاستطراد والإحالة والتلويح والتخييل والفرصة والتسميط والتعديل والتحلية والنقل والتختم والتجريد والاستقلال والتهكم والتعريض والإلغاز والترقي والتنزل والتأنيس والإيماء وحسن البيان والرصف والمراجعة وحسن التخلص. واخر فصل قبل الخاتمة **فصل فيما لا يعد كذبا** وهو من لطائف اللسان العربي ويتمثل في الإيهام والتهكم والتغالي. وأخيرا جعل لشرحه **خاتمة** وذكر فيها موجب البلاغة من التأنق في مبدأ الكلام ومنتهاه، مع ذكر محاسن الابتداء في عذوبة المطلع وبراعة الاستهلال، وصفة الانتقال من المطلع إلى المقصود في التخلص والاقتضاب وفصل الخطاب، وذكر من محاسن الانتهاء ختم الكلام بما يؤذن بانتهائه.

5- منهج الأخضري وأسلوبه في الشرح " المخطوط"

لقد اهتم الأخضري بالبلاغة العربية حتى لنراه يفصل تفصيلا في جميع أبوابها على اعتبارها علما قائما بذاته له أصوله وقواعده، مع جهده الواضح في إخراج شرحه، ولعل خير وسيلة للخروج بصورة واضحة عن مقدار ما أسهم به الأخضري في ميدان البلاغة العربية، والوقوف على الطريقة التي نهجها والأسلوب الذي اعتمده في شرحه، يجعلني أتتبع بدقة المنهج والأسلوب الذي قام عليه هذا الشرح. ولما كان هذا المخطوط عبارة عن شرح لمتن، فقد التزم الشارح بالمتن وتقيد به – وهو له أيضا–، فجاءت موضوعاته وأبوابه وفصوله مرتبة وفق ما رتب به المتن، فقد سعى الأخضري أولا في وضع نظمه وفق فنون وأبواب وفصول، ونراه يلتزم بها في شرحه، غير أن رؤيته تتسع حين الشرح فيأخذ شرحه نمطا جديدا وشكلا دقيقا، يوضحه عمق التحليل والتفسير ومناقشة الآراء، الشيء الذي يجعل الأخضري يتعامل مع نظمه وفق منهج خاص يمكن أن نلمسه في حفاظه على التناسق بين النظم والشرح والمزج بينهما، وتناوله بالشرح كل ما يتضمنه النظم، بشرح غريبه و فك عباراته وتحليل أمثلته، معللا التقدير النحوي، مبينا التقديم والتأخير الناتج عن الوزن الشعري. وفي عدم اقتصاره على موضوعات المتن فحسب، بل واجتهاده أيضا في سرد الكثير من المسائل التي لم يتعرض لها في نظمه، والتي يرى من الضروري ذكرها في هذا الموضع أو ذاك بما يتفق مع ما اعتاد عليه علماء البلاغة من ذكره والإشارة إليه، مما يجعل هذا الشرح مستوفيا لأكثر مباحث علوم البلاغة، والتي لا تذكر عادة إلاّ في المطولات. كما يظهر في اجتهاده في تعريف المصطلحات لغة واصطلاحا، ولم يقتصر هذا الاجتهاد على المصطلحات البلاغية دون غيرها، فالمصطلحات النحوية والصرفية لقيت عند الأخضري جانبا من الاهتمام، وكان لها نصيب من التعريف مع التوضيح والتفصيل، حتى يكون هذا الشرح وافيا. ففي أحايين كثيرة يستطرد في مسائل نحوية وصرفية دعت إليها المناسبة، ويبرر

ذلك أثناء حديثة مثلا عن الاسم المنصرف وغير المنصرف المعتل بالياء بقوله: "وإن ما أوردناه هنا وان كان فيه خروج عن الفن، لأجل المناسبة ولتنبيه الطالب، هذه عادتنا في هذا الشرح والله المستعان". ويشير في موضع آخر حين يتعلق الأمر بتعريف المسند إليه باللام فيقول :"وأحلنا بمباحثها في علم النحو، لأن النحويين بسطوا الكلام عليها، وطالب هذا الفن لا بد من الدخول في النحو قبله" وأمثلة ذلك كثيرة ومفيدة في هذا الشرح[37]. كما يظهر منهجه في أخذه بالأسلوب المنطقي في عرضه لكثير من مسائل البلاغة، فهو يلجئ الكثير من القضايا إلى ما تقرر في علم المنطق، وورد ذلك في موضوعات كثيرة تجلت بوضوح في الفن الأول "علم المعاني" أثناء حديثه عن الإسناد الخبري وأحواله، واستطراده في بيان الفرق بين المفهوم والمصدوق، وقد بدا ذلك أيضا في حديثه عن تقديم المسند إليه لغرض تخصيصه أو إفادته عموم السلب، وبشيء من التفصيل أيضا في بيان اختلاف اعتبار المناطقة والنحاة في مفهوم الشرطية أثناء حديثه عن تقييد المسند بالشرط. وفي ذكره للدلالة الوضعية في مقدمة الفن الثاني "علم البيان" فهو يعالج بالتفصيل أقسام الدلالة الوضعية من مطابقة وتضمن والتزام، ورأي المناطقة في ذلك بما يتفق مع علماء البيان، وتجلى هذا بوضوح في كثير من المسائل المطروحة في ثنايا هذا الشرح[38]. وفي تعرضه إلى العديد من المفاهيم المتعلقة بالتصوف، وهذا حين يتعلق الأمر بالأمثلة التي يسوقها في نظمه لتوضيح مسألة من المسائل، غير أنه يزيد من التوضيح بهذه المفاهيم في شرحه معتمدا في ذلك بما جاء على لسان أرباب السلوك ومشايخ التربية على حد تعبيره. مثلا في قوله "ككن بالحق"[39] يشرحه صوفيا ويقول بشأنه " وهذا المثال فيه ترغيب في التمسك بحبل الله تعالى، والتوكل عليه والاعتماد عليه في جميع الأمور" فالأخضري يكثر من ذكر مصطلحات التصوف كالحضرة والمجاهدة والمشاهدة ودائرة القدس والعلم اللّدني والمراقبة والحكمة والتجلي والمناجاة والمدد وغيرها من المصطلحات المستعملة في عرف علماء التصوف، ويشير في إحدى هذه الموضوعات ويقول "فانظرها في محلها"، والغاية من ذكره لمثل هذه الأمثلة وشرحها هو ترغيب طلبة العلم في الدخول إلى حضرة المنقطعين إلى الله، وتحذيرهم بذلك من الغفلة التي يرى أنها طمست بصائرهم، وفي أحد الأمثلة يقول "وإنما مثلنا بهذا المثال رجاء التفات الطالب إلى التعلق بالأسباب الموصلة إلى حضرة المعرفة التي مدارها على صدق التوجه إلى الله سبحانه والانقطاع إليه من كل شيء" ، وفي مثال آخر يقول "والمقصود من المثال حث الطلبة على الدخول في طريقة التصوف، التي هي طريقة أصفياء الله تعالى وأكابر أوليائه من الأقطاب والأبدال والرجال السالكين إلى اله سبحانه" ، ويقول في مثال آخر أيضا "والمدد عند الصوفيين ما يرد على قلوب العارفين من زيادة المعرفة والإشراق بأنوار التجليات وانبساط ضياء المشاهدة". وقد تعرض في أسلوب الموجه إلى ماهية التصوف حين قال "وقد اختلف العلماء في تفسير التصوف، وقد عرفوه بوجوه تبلغ الألفين بين حد ورسم وتفسير" ، وفي تمسكه والتزامه بالتصوف والإشارة إليه في أكثر من موضع، نلحظ هذا التمسك والالتزام بقوله "ومن لا قدم له في علم التصوف يخشى عليه من سوء الخاتمة"[40]. كما أنه التزم بالأمانة العلمية في نقله من المصادر التي أخذ عنها واهتمامه بآراء العلماء الذين نقل عنهم وإبراز آرائهم ومواقفهم ومناقشتها بما يدعوا إلى التأييد أو المخالفة دون إهمال سبب ذلك والأمثلة على ذلك كثيرة. ويظهر عليه في شرحه كثرة الاستشهاد حيث كانت جلّ شواهده آيات القرآن الكريم، فلم يخلُ موضع دون الاستشهاد، وبخاصة تلك الآيات التي لها علاقة بمسائل البلاغة. وقد بلغت الشواهد القرآنية ثلاثمائة وست وتسعين آية مما أحصيناه ،كما أكثر من الاستشهاد بالشعر ومعظمه من العصر الجاهلي وصدر الإسلام، إضافة إلى شواهد من العصرين الأموي والعباسي، كما استشهد

أيضا ببعض شعره الذي استقاه تارة من قصائده المعروفة كالقدسية والتائية النبوية وتارة أخرى أبدعه في حينه استجابة للمسألة التي هو بصدد تفسيرها، وبلغت شواهده الشعرية مائة وثلاثا وأربعين شاهدا، بين منسوب وغير منسوب وكان في استشهاده بالشعر يذكر البيت كاملا وأحيانا كان يكتفي بذكر الشطر الذي يضم الشاهد، وبلغت شواهده من أنصاف الأبيات ثمانية عشر شاهدا. ولم يهتم بنسبة الأبيات إلى أصحابها ولم يفعل ذلك إلا قليلا، وكثير من هذه الشواهد مبثوثة في كتب البلاغيين والنحاة، لذلك لم يكن من العسير نسبتها إلى قائليها. أما الآثار من الأحاديث والأمثال والأقوال فالاستشهاد بها كان قليلا بعض الشيء، فكل ما استشهد به لا يزيد عن سبعة عشر حديثا وأربعة أمثال وثلاثة عشر من الأقوال لعمر بن الخطاب، وعلي كرم الله وجهه، وعائشة أم المؤمنين، ومالك بن أنس، ومعاوية بن أبي سفيان والحسن البصري والحكم بن عبد يغوث والحريري وحكيم بن عمير[41]. ويبدو عليه أيضا استهلال شرحه بعبارات متنوعة فتارة بعبارة "ذكرنا في هذا البيت أو هذه الأبيات وتارة أخرى بعبارة "ولما فرغنا من كذا ... شرعنا في كذا ..."، فهو بذلك يجتهد في تلوين أساليبه بعبارات مختلفة أثناء الشرح، كما يحرص على ذكر سبب تقديمه لباب على آخر وفصل على غيره، أو مسألة على أخرى، كما يتعرض في آخر شرحه لكل جزء من باب أو فصل إلى ما في البيت أو الأبيات من مصطلحات لمعان بلاغية، فيذكر ما في أبيات النظم من مسائل تتعلق بعلم المعاني أو البيان أو البديع بقوله "وفي البيت أو في الأبيات كذا وكذا ..." وهذا بعد ما يستوفي شرح مضمون البيت وتفسيره لكل غموض لغوي. وإلمامه بما تقتضيه بعض المواضع من الزيادة في التوضيح والإبانة، وهذا بإجابته على جميع الأسئلة، أو ما يمكن أن يتبادر إلى ذهن القارئ من استفسار بغية كشف الغموض، فيجيب المؤلف بطريقة الحوار بينه وبين القارئ في شكل منهجي دقيق ومختصر، وذلك بعبارة "فإن قلتَ كذا ... قلتُ كذا ..." كل ذلك مع التعليل والاستدلال بالحجة الدامغة.

6- مصادر الشرح "المخطوط"

من خلال تتبعي لهذا الشرح " المخطوط " بكثير من التفحص والتمعن لجميع موضوعاته ومسائله، ومع استقصائي لمختلف أبوابه وفصوله، تبين لي أن الأخضري اعتمد في شرحه لنظمه "الجوهر المكنون" على جملة من المصادر المختلفة والمتنوعة، والذي رعى انتباهي من هذه المصادر ما كان له علاقة بالبلاغة أو على صلة بها، ومن هذه المصادر ما أثبته المؤلف بأنه اعتمد عليه إما بذكر مؤلفه أو ذكر النص، أو بذكر المصدر أثناء النقل عنه، أو بذكر المؤلف من غير العزو إلى كتابه، وهناك من المصادر التي لم يثبتها لا بذكرها ولا بذكر مؤلفيها مكتفيا بالنقل، لكن عن طريق المقارنة ومن خلال التحقيق استطعت أن أصل إلى بعضها لوجود تقارب كبير بين النص المنقول والمنقول عنه. وتماشيا مع هذه الكيفية التي اعتمدها الأخضري في إدراج مصادره عمد إلى ذكر الكتاب تارة، أو بالإفصاح عن اسم المؤلف تارة أخرى دون الإشارة إلى كتابه، وفي مواضع أخرى يشير إليهما معا، وعلى هذا الأساس نجده يحترم جهود الآخرين ويعترف بفضلهم ويأخذ بآرائهم، لأن هدفه من هذا الشرح تقريب الفكرة تيسير الفهم وتبسيط الموض وع.وتبعا لتنوع المعارف التي امتاز بها الأخضري، فهو يفسح المجال واسعا لتعدد مصادره، الشيء الذي أضفى على شرحه مسحة علمية جادة في توظيفه للحصيلة العلمية باعترافه لجهود السابقين.

فمن المصادر التي اعتمدها في شرحه **المصادر البلاغية** فقد استعان بها الأخضري في شرحه بشكل أكبر على ترتيب الخطيب القزويني (ت739هـ) في كتابيه تلخيص المفتاح، والإيضاح في علوم البلاغة، كما اعتمد على شرح سعد الدين التفتازاني (ت791هـ)، وبدرجة أقل على مفتاح العلوم للسكاكي (ت626هـ)، فكانت هذه هي المصادر التي ارتكز عليها الأخضري في تقويم الكثير من المسائل البلاغية والتفصيل فيها، غير أنه كان كثير النقل لنصوص أوردها التفتازاني في شرحه، فهو بذلك يعرض مسائلهم مستعينا بآرائهم دون أن يخفي اختلافه معهم في بعض ما قدمه، وذلك بطريقة مهذبة بعيدة عن المكابرة والعناد. فتلخيص المفتاح للخطيب القزويني (ت739هـ)" يبدوا أن الأخضري نهج الطريقة التي انتهجها في كتابيه التلخيص والإيضاح، ويبدوا أنه التزم التزاما بما في التلخيص بصورة أدق، وسار على منوال طريقته، فالأخضري في جل شرحه يتماشى مع ترتيب القزويني، إذ يقول في مقدمة نظمه:

ملتقطا من درر التلـخيص ** جواهرا بديعــة التلخيص

سلكت ما أبدى من الترتيب ** وما ألَوْت الجهد في التهذيب

وفي الشرح يشير إلى الالتزام بهذا الترتيب في مواضع كثيرة، فمن ذلك في معرض حديثه عن تقديم اسم الموصول على اسم الإشارة في تعريف المسند إليه بقوله :"وكان الأولى تقديم اسم الإشارة عليه لكونه أعرف منه، بدليل السامع يعرفه بالعقل والبصر بخلاف الموصول، لكن تتبعي في ذلك ترتيب أبي القاسم القزويني" [(42)]. وفي حديثه عن الاستعارة المكنية والتخييلية يقول :"وقد اضطربت آراء البيانيين فيهما، وجرينا في النظم على طريق القزويني فهما عنده ليستا من المجاز في شيء بل هما مستعملان فيما وضع له"[(43)]. ونراه حينما تعلق الأمر بعدد المحسنات اللفظية يقول :"وذكرنا منها سبعة تبعا للقزويني وألحقنا في آخر النظم ألقابا حسنة"[(44)]. وإن كان الأخضري سار على نهج القزويني في أكثر المسائل لكن لم يمنعه هذا من مخالفته في بعض المسائل الأخرى[(45)]، فإذا كان القزويني يعدّ التدبيج من المطابقة، فالأخضري يفصل بينهما، وإن كان القزويني يجعل "الاهتمام" جنسا لأغراض التقديم كلها، فالأخضري يفرق بين هذه الأغراض، وغرض "الاهتمام" عنده ما هو إلاّ غرض كبقية الأغراض الأخرى، كما خالفه في الترتيب بين المجاز المركب والاستعارتين التخييلية والمكنية، فهما مقدمتان على المجاز المركب عند القزويني، بينما الأخضري أخر المجاز المركب عليهما بما يراه مناسبا. والذي نلمسه من هذا كله مناقشة الأخضري لآراء القزويني وتوضيح سبب الاختلاف معه. ثم اعتمد على "شرح تلخيص المفتاح لسعد الدين التفتازاني (ت791هـ)" فقد اعتمد عليه الأخضري في مواضع كثيرة من شرحه، فقد أورده في تسعة عشر موضعا وهو كثير الاستشهاد بآرائه، ويبدو أنه معجب بآرائه أيّما إعجاب، فلم يعارضه في نقل من النقول ولم يناقشها بل يوردها دون إظهار أي خلاف حولها، فهو بذلك كثير الاحترام لاستشهاداته، ولهذا ينقل نصوصه في الغالب دون أن يتصرف فيها إلا في القليل النادر، وإن تعلق الأمر بمسألة يطول الحديث حولها فإنه يحيل إلى شرح التفتازاني تجنبا للإطالة وتدريبا للقارئ على البحث، ونرى الأخضري في أحد المسائل المتعلقة بتقييد المسند بالشرط يتحدث بإسهاب عن "لو" الشرطية ويقول في آخر شرحه "قد أتقنها الإمام المحقق التفتازاني وأطال الكلام فيها فانظره في شرح التلخيص"[(46)].أما بدرجة أقل كان "مفتاح العلوم لأبي يعقوب يوسف السكاكي (ت 626هـ)" نقل عنه الأخضري نقولا

محدودة على الرغم من أنه الأصل لجميع التلخيصات والشروح، فقد استعان به في الإحالة إلى بعض المسائل، وهذا في تسعة مواضع، غير أنه بدا مؤيدا له في بعضها ومخالفا له في بعضها الآخر، ومن بين المسائل التي وافق المؤلف فيها السكاكي ونهج نهجه فيها حين تعلق الأمر في باب الوصل بمنع العطف في اتفاق الجملتين في الطلبية والخبرية، وفي الحرص على التفريق بين التعريض والتلويح والإيماء على اعتبارها كنايات تختلف فيما بينها من حيث كثرة الوسائط وقلتها[47]. أما مواطن الاختلاف فتظهر في اعتقاد الأخضري أنه إن كان المشبه مذكورا أو مقدرا ولا يكون المشبه به في حكم الخبر فليس استعارة ولا تشبيها، أما السكاكي فيرى أن المشبه به متى كان مسندا فتشبيه، ومتى كان مسندا إليه فإن لم يذكر المشبه فاستعارة وإلا فتجريد[48].وعلى هذا نجد الأخضري يعدد هذه المصادر البلاغية التي ذكرناها ولها علاقة بالموضوع ويتصرف في الاستشهاد بها وبما جاء فيها بأسلوب العالم المدقق[49].

أما **المصادر النحوية واللغوية** اعتمدها الأخضري كمصادر يوثق بها آراءه ويوردها ليدعم بها نقولاته كلما اقتضت الضرورة ذلك. لصلتها الوطيدة بالبلاغة، ومنها "ألفية بن مالك (ت 672هـ) فقد كان كثير الاستشهاد بنظم الألفية في أبواب مختلفة فقد ورد ذكر بن مالك في ست مواضع من شرحه، وأمثلة هذه المواضع في تعريف المسند إليه باسم الإشارة وفي بيان حالته في القرب والبعد والتوسط، وفي العطف على المسند إليه وفي بعض مواضع القصر. ومنها أيضا "الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي"(ت749هـ) فقد اعتمده الأخضري في جوانب كثيرة لها علاقة بإعراب الأدوات خاصة، وإن كان الأخضري لم يشر إلى هذا الكتاب في شرحه مطلقا، ولكن من خلال المقارنة والرجوع إلى كتب الأصول وجدت التقارب بين الذي أورده الأخضري وما جاء به المرادي في كتابه الجنى الداني[50]. ومن المصادر العتمدة عند الأخضري "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام النحوي (ت 761هـ)" فالواضح أن الأخضري من خلال شرحه اعتمد في مسائل كثيرة على المغني، وكثيرا ما تداخل كلامه بكلام ابن هشام ويتجلى ذلك في القضايا النحوية المتعلقة بموضوعات القصر والإنشاء ومسائل أخرى في معرض حديثه عن بيان المسند إليه الإبدال منه، وفي إعراب أسماء الاستفهام، والملاحظ أن الأخضري لم يذكر ابن هشام إلا في موضعين من مواضع الاستشهاد، ولم يذكر أيضا كتاب المغني في موضوعات كثيرة، لكن من خلال تتبعي لهذه المسائل وجدتها تتقارب كثيرا مع ما جاء في كتاب مغني اللبيب[51]. أما بقية كتب النحو الأخرى كالكتاب لسيبويه، ومعاني القرآن للفراء، والخصائص لابن جني، ونتائج الفكر في النحو للسهيلي ، يبدو أن الأخضري اعتمدها اعتمادا ضئيلا لدرجة أنه لم يذكر مؤلفيها إلا عرضا دون تفصيل. أما المصادر اللغوية والمعجمية فنرى الأخضري يعتمد عليهما بشكل يسير مقارنة على ما تقدم، فهو عندما يتناول شرح المصطلحات اللغوية فهو يعتمد على نفسه في شرحها، وإن كان في شرح بعضها يتفق مع ما في القاموس المحيط للفيروزبادي وما في لسان العرب لابن منظور ، وإن كان لم يشر إليهما ولم يتعرض لمعجميهما، وما أشار إليه من المعاجم، وما مثّل واستشهد بتفسيره الصحاح للجوهري، والمحكم لابن سيده، ولم يتعدى هذا سوى موضع واحد فقط لكل منهما من هذا الشرح[52].

أما بقية **المصادر أخرى** التي يبدو أن الأخضري اعتمدها وإن كان لم يتعرض للإشارة إلى عناوينها تعلقت في معظمها بعلوم مختلفة لها هي الأخرى صلة وثيقة بعلوم البلاغة، فيبدو أنه اعتمد على تفسير الكشاف للزمخشري،

وتفسير المحرر الوجيز لابن عطية، ومفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي حين يتعلق الأمر بالتفسير، وعلى متن الورقات للجويني، والمستصفى لأبي حامد الغزالي حين يتعلق الأمر بأصول الفقه، و على ابن الجزري في مسائل القراءات و على ابن هشام في السيرة و على نظمه وشرحه " السلم المرونق " في المسائل المتعلقة بقضايا المنطق، أما التصوف فالظاهر أن الأخضري متأثر بأقوال محي الدين بن عربي الواردة في الفتوحات المكية وفصوص الحكم، والرسالة القشيرية، وبأقوال الشيخ أحمد زروق، ووالده الشيخ محمد الصغيّر، وشيخه محمد الخروبي، وهذا كلّما استدعته الضرورة في الإشارة لهذه المسائل، وكلما دعت المناسبة لذلك[53]

7– نسخ الشرح المخطوط (شرح الجوهر المكنون).

لهذا الشرح نسخ خطية منتشرة في بعض مكتبات العالم ، نسخة تحمل رقم 226 بالمكتبة الوطنية بمدريد (إسبانيا). نسخة تحمل رقم 187 بمكتبة الدولة ببرلين (ألمانيا). نسختان الأولى تحمل رقم 202 والثانية رقم 421 موجودتان بمكتبة المتحف البريطاني بلندن (بريطانيا).نسخة تحمل رقم 807 بدار الكتب الوطنية بتونس (تونس). نسختان الأولى تحمل رقم 311 والثانية رقم 352 موجودتان بالخزانة العامة بالرباط (المغرب). نسخة موجودة بمكتبة المسجد النبوي تحمل رقم 414/21. إضافة إلى النسختين اللتين اعتمدتهما في التحقيق وهما محفوظتان بالمكتبة الوطنية تحت رقم 213 –2118 . [54]

وما توفر لي من هذه النسخ سوى أربعة منها مصورة عندي الأولى وهي نسخة مصورة عن الأصل المحفوظ بالمكتبة الوطنية تحمل رقم 213، وتقع في مائة وأربع وخمسون (155) ورقة، عدد السطور في كل صفحة خمسة وعشرون (25) سطرا باستثناء الورقة الأولى، ومقياس الورقة 13 **x** 22،سم كتبت بالقواعد الإملائية القديمة بخط مغربي واضح ومقروء، ليس فيها إسقاط كثير مقارنة مع بقية النسخ، عدا حذف يقدر بورقة في آخرها، وعلى هامشها تعليقات مفيدة وتصويبات هامة، ولأجل هذه الأوصاف اعتمدتها أصلا في إقامة النص. ناسخها : علي بن محمد بن موسى الفودي نسبا الجزائري مسكنا. تاريخ نسخها : يوم الثلاثاء خمس وعشرون صفر سبع ومائة وألف (25 صفر 1107هـ)

الثانية وهي نسخة خطية مصورة عن الأصل بالمكتبة الوطنية تحمل رقم 2118 تقع في 133 ورقة، تبدأ بالشرح ثم تنتهي بالنظم، عدد السطور في كل صفحة خمسة عشر (15) سطرا باستثناء الورقة الأولى، ومقياس الورقة 13 **x** 21 سم، كتبت بخط النسخ، يرمز فيها للنظم بحرف (ص) وللشرح بحرف (ش)، لا يوجد بها إسقاطات كثيرة عدا إسقاط بلغ ورقتين تقريبا غير أن بها تحريفات وتصحيفات كثيرة. والمتن الذي ورد في آخرها كاملا ينتهي بهذا البيت:

أبياتها تسع ثم مائتين ** وزد لها واحدة من دون مين

والثالثة وهي نسخة مصورة عن الأصل المحفوظ بخزانة الشيخ محمودي البشير القاطن بالبرج (معسكر)، وتقع في مائة وثلاث وتسعون (193) ورقة، عدد السطور في كل صفحة واحد وعشرون (21) سطرا عدا الصفحة الأولى، ومقياس

الورقة 13 x 21 سم، كتبت بخط الثلث، بها إسقاطات كثيرة مع طمس لكثير من الكلمات، وعليها في الهامش تصحيحات لأخطاء، وتدارك لبعض النقائص.ناسخها : أبو الحسن بن محمد ابن البوري. وتاريخ النسخ : الخامس عشر من شهر ربيع الأول سنة اثنان وتسعين ومائتين وألف (15 ربيع الأول 1292هـ). ناسخها : علي بن إبراهيم. تاريخ نسخها : يوم الاثنين آخر شهر شوال ثمان وثلاثين ومائة وألف (1138هـ).

الرابعة وهي نسخة مصورة عن الأصل المحفوظ بخزانة زاوية الشيخ عبد القادر العثماني بطولقة عليها رقم 2144 تقع في مائة وست وثمانون (186) ورقة، وعدد السطور في كل صفحة عشرون (20) سطرا، تبدأ أولا بالمتن كاملا من الورقة الأولى إلى الورقة **12**، ثم يبدأ الشرح من الورقة 14 إلى غاية نهاية المخطوط، ومقياسها 13, **x** 22 سم، وهي نسخة كتبت بخط مغربي باللون الأسود والأحمر، بها إسقاط كثير مقارنة مع بقية النسخ، وإن كنت قد اعتمدتها في أغلب الأحيان على تدارك ما وجد في الأصل وبقية النسخ من تصويبات تخدم النص. ليس عليها اسم الناسخ و لا تاريخ النسخ: يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة خمس وتسعين وألف (27 ربيع الأول 1095هـ).

8– الخاتمة

إن الاهتمام بالتراث الجزائري والسعي من أجل دراسته بات من الضرورة وأصبح من الأولويات في زمن قلّت فيه البحوث حوله وندرت فيه الدراسات بشأنه، وما تقديمي لهذه القراءة إلا التماسا للباحثين وبخاصة المتخصصين في التراث الجزائري على أن يشمروا ساعد الجد في سبيل هذا التراث المخطوط المنتشر في المكتبات والخزانات العامة والخاصة. ولما كان الأخضري من أعلام الجزائر خلال القرن العاشر، وما تركه من مؤلفات عظيمة جليلة القدر نافعة في مجالها وأن ما تركه يؤكد على السخاء العلمي والتفوق الفكري الذي ساد احدى مراحل تاريخنا المشهود، رأيت من الأولى أن نبرز أحد هذه المنابر العلمية في شخص الأخضري وشخصيته من خلال شرحه لنظمه الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون، هذا التأليف الذي اطلعت عليه مخطوطا ودرسته دراسة مستفيضة استطعت من خلالها ادراك قيمة هذا الشرح المخطوط فاستعنت الله وقمت بتحقيقه وأسأل الله أن يكتب له الوجود ويتحقق له النشر.

الهوامش:

([1]) نسخة خطية مصورة عن الأصل بالمكتبة الوطنية الجزائر تحمل رقم 2118 تقع في 133 ناسخها : علي بن إبراهيم.
تاريخ نسخها : يوم الاثنين آخر شهر شوال ثمان وثلاثين ومائة وألف (1138هـ)

([2]) لم يتعرض الأخضري في شرحه المخطوط إلى هذا التمهيد الذي يضم ثلاثة وعشرين بيتا، عدا ذكره لمطلع النظم فقط.

([3]) ينظر مجموع مهمات المتون، دار الفكر الطبعة الرابعة 1994 .

([4]) معجم المطبوعات العربية والمعربة:406/1.

([5]) قمت بتحقيقه للحصول على درجة الماجستير ، أشرف علي الأطروحة الأستاذ حبّار محتار.

([6]) نسخته من خزانة الشيخ محمودي بشير رحمه الله وكان هذا سنة 1994.

([7]) نسختان مصورتان من المكتبة الوطنية الحامة (الجزائر) الأولى تحمل رقم 213 والثانية تحمل رقم 2118 .

([8]) الرحلة الورثيلانية:87.

([9]) الأعلام:108/4.

([10]) دائرة المعارف الإسلامية :220/2.

([11]) تاريخ الجزائر العام:80/3.

([12]) تاريخ آداب اللغة العربية:356/2.

([13]) تاريخ الجزائر الثقافي:167/2.

([14]).هو محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي جلال الدين،القزويني الشافعي (ت 739 هـ -1338 م)، المعروف بخطيب دمشق، أصله من مدينة قزوين غير أنه ولد بالموصل من أشهر مؤلفاته الإيضاح في علوم البلاغة، وتلخيص المفتاح. وردت ترجمته في الأعلام للزركلي:320/6.

([15]) وهو أبو العباس أحمد بن محمد المبارك، عاش إلى سنة (1265 هـ 1849م)، تولى الإفتاء بقسنطينة، انظر ترجمته في معجم أعلام الجزائر لعادل نويهض:260.

([16]) في معجم أعلام الجزائر ص262، وفي فهرست معلمة التراث الجزائري ج3 ص77، أن لأحمد بن محمد المبارك حاشية على شرح الأخضري للجوهر المكنون. هي في الخزانة العامة للرباط وأنه مطبوع سنة 1968.أما نزهة العيون في بيان شرح الجوهر المكنون فقد أشار إليه البشير ضيف في معلمته على أنه ينسب إلى محمد بن الفكون فيقول:" وللعلم أن هذا الشرح غير موجود ولم يُشر إليه في أي مصدر" انظر فهرست معلمة التراث التراث الجزائري:128/3.

([17]) تاريخ الجزائر الثقافي:167/2.

([18]) هو أحمد بن عبد المنعم بن يوسف بن صيام الدمنهوري المذاهبي (1107هـ-1193هـ) ولد بدمنهور بمصر من مؤلفاته" شرح على متن السلم المذكور المسمى" إيضاح المبهم في شرح معاني السلم" وشرح على متن الجوهر المكنون المسمى" حلية اللب المصون في شرح الجوهر المكنون" وله أيضا شرح على متن السمرقندية المسمى" إيضاح المشكلات من متن الاستعارات.

([19]) انظر كشف الظنون:3/242-266،وفي:443/5. يشير في:156/4 إلى شرح آخر بعنوان " قرة العيون على الجوهر المكنون" لمؤلفه علي بن علي العزي التي فرغ منها سنة 981هـ.

([20]) دائرة المعارف:514/1.

(21) حلية اللب المصون شرح الجوهر المكنون للدمنهوري:117.

(22) حلية اللب المصون شرح الجوهر المكنون للدمنهوري:162.

(23) لم أعثر على ترجمة وافية له إلا كونه محمد بن محمد بن موسى (الثغيري) أو (الثغري) الجزائري المالكي كان حيا قبل 1115هـ أي قبل 1703م.من آثاره موضح السر المكمون على الجوهر المكنون في الثلاثة فنون فرغ منه سنة 1115 وله قصيدة في فتح وهران .انظر إيضاح المكنون لاسماعيل باشا البغدادي:606/2 وفي معجم المؤلفين لرضا كحالة:144/9. و معجم أعلام الجزائر لعادل نويهض:92.

([24]) ما يزال هذا الشرح مخطوطا، منه نسخة مصورة عندي من خزانة الشيخ محمودي بشير ،ونسختان منه بالمكتبة الوطنية تحمل رقم 2146 وأخرى تحمل رقم 2017. ولم أعلم إن تم تحقيقه أم ما يزال مخطوطا.

([25]) انظر الورقة الأولى لموضح السر المكمون (مخطوط). وقد اعتمدت على هذه النسخة في استكمال بعض النقائص من الشرح الأصل في تحقيقي لشرح الأخضري .

([26]) المختصر في تاريخ البلاغة لعبد القادر:14.

([27]) انظر قضية الإعجاز القرآني، الدكتور عبد العزيز عبد المعطي عرفة :441.

([28]) في كتابه عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح.

([29]) في كتابه المختصر لتلخيص المفتاح .

([30]) في كتابه مو اهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح.

([31]) المختصر في تاريخ البلاغة، عبد القادر حسين:200 .

([32]) انظر تاريخ البلاغة العربية، عبد العزيز عتيق: 300. وقضية الإعجاز القرآني ، عبد العزيز عبد المعطي عرفة :732.

([33]) اطلعت على معظمها في العديد من الخزانات والمكتبات، وأحصيت ذلك من خلال ما أثبتته الكثير من فهارس المخطوطات ،وفي العديد من المصادر في هذا الشأن، كمعجم إليان سركيس، و كشف الظنون للحاجي خليفة ، وتاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين، وفي العديد من كتب التراجم القديمه والحديثة مما يطول ذكرها، وفي معاجم أعلام الجزائر وفي غيرها من المؤلفات ، ثم إن هذه المصادر التي حققت منها أكثر المخطوطات الذكورة أوردتها مجتمعة في فهرس المراجع والمصادر في آخر هذا التحقيق.

([34]) انظر فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث:3 /123- 126. ضمن كتب علم البلاغة العربية

([35]) ينظر هذا في آخر الفن الثاني" علم البيان"

([36]) ينظر هذا في آخر الفن الثاني" علم البديع"

([37]) تنظر هذه المسائل المشابهة في محلها وفي مواضع كثيرة من هذا الشرح المحقق مع التعليق عليها.

([38]) تنظر هذه المسائل المشابهة في محلها وفي مواضع كثيرة من هذا الشرح المحقق مع التعليق عليها.

([39]) وهو مثال ساقه الأخضري في باب الإنشاء.

([40]) ينظر هذه المسائل المشابهة في محلها وفي مواضع كثيرة من هذا الشرح مع التعليق عليها في الهامش.

([41]) قد تتبعت ذلك كله في مصادره ، خلال التحقيق.

([42])ينظر هذا الشرح في الفن الأول" علم المعاني" في تعريف المسند إليه بالإشارة .

([43]) ينظر هذا الشرح في الفن الثاني" علم البيان" في فصل الاستعارة .

([44]) ينظر هذا الشرح في الفن الثالث "علم البديع" في تعريف علم البديع .

([45]) وقد أشرت إلى ذلك كله أثناء التحقيق. .

([46]) شرح المطول لسعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح .

([47]) ينظر هذا الشرح في الفن الثاني" علم البيان " في باب الكناية .

([48]) ينظر هذا الشرح في الفن الأول" علم البيان " في باب التشبيه.

([49]) نذكر ذلك ونوضحه بالتفصيل أثناء التحقيق.

([50])أثبتُّ ذلك كله في مواضعه خلال التحقيق لهذا الشرح.

([51]) أثبتُ ذلك كله في مواضعه خلال التحقيق لهذا الشرح.

([52])ينظر في هذا الشرح من خلال التحقيق، ذكرهما في الفن الثالث من علم البديع في ضبط مصطلح التشطير.

([53])أثبت ذلك كله في مواضعه خلال التحقيق مع التعليق وإظهار المناسبة.

([54])ينظر في ذلك الشيخ البشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والجديد، والأستاذ عبد القادر أوقاسي ، مخطوطات المؤلفين الجزائريين في المكتبة الوطنية، فهرس فانيان دراسة تحليلية ، وفؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، محمد بن عبد الكريم، مخطوطات جزائرية في مكتبات اسطنبول. وإليان سركبس معجم المطبوعات العربية والمعربة.